

الشيخ سابا الآثوسي عن الشيخ بايسيوس (إنزيبيديس)\*

Elder Sabbas the Athonite on Elder Paisios

(نقلها إلى العربية مايكل شقرا)

قلاية القديس نيقولاوس، كابسال، جبل آثوس المقدس

١٣ آب ١٩٩١

عزيزي الأب نيقوديموس، بارك!

أثناء زيارتك لقلايتنا منذ بضعة أيام، قُمتَ بتكرار تصريحاتك الغير أرثوذكسية القائلة أننا خارج الكنيسة لأننا لا نذكر البطريرك ديميتريوس ليتورجياً. وصرّحت أيضاً بأمور أخرى توجبنا أن نكتب ما يلي لإرشادك بشكل أكمل، وذلك لأن البراهين والتنفيذ الذي قدّمناها أثناء حديثنا أفقدتك هدوءك وجعلتك غضوباً.

مكتوبٌ في أقوال آباء الصحراء أنه عندما سُئل الأب أغاثون إذا كان هو متكبراً، أو زانياً، أو هرطوقياً، أجاب مؤكداً الإتهامين الأولين لأنه كان نافعاً لنفسه القيام بذلك، ولكنه رفض الإتهام أنه هرطوقياً لأن هذا يعني الانفصال عن الله.

حسب رأيك (وحسب رأي جميع أديرة الجبل المقدس أيضاً، بإستثناء دير إسفيغمينو وإسقيط النبي الياس والعديد من الآباء الغيورين)، نحن مخدوعون وشقاقيون. صعبٌ عليك أن تعترف بأن بطريكية القسطنطينية تبشر بالهرطقة، لأن هذا يعني أنه عليك أن تعترف أن شركتك الإفخارستية مع هؤلاء الذئاب ولا الرعاة تستحق الإدانة، أو أنه عليك أن تتوقف عن السير وراءهم (أي كنسياً- المترجم)، حسب ما أمر به جميع الآباء القديسون والمجامع.

أنت تحاول تبرير جماعة الفنار (أي مجمع بطيركية القسطنطينية - المترجم)، ولكن أقوالهم وأفعالهم تدل على أنك على خطأ. أنت عبثاً تستعين برأي الأب باييسوس وآخرين، الذين يتسامحون مع الظروف الحالية ويقدمون التنازلات، أي بمعنى آخر، يتعاملون معها بمثابة "إيكونومية" (أي تساهل - المترجم) ولكن عندما يحين الوقت (فرضياً عندما يدخل ديميتريوس في شركة إفخارستية مع البابا حسب قولك) عندها سوف تفصلون أنفسكم عن كل ما يناقض تعاليم الآباء القديسين والمجامع. أنتم تخدعون أنفسكم كثيراً.

أما بالنسبة للتحذيرات التي تشير إليها - إن كانت للشيخ باييسوس أو لجارك الأب إسحق، أو لأي شخص آخر - والتي تؤكد أن ديميتريوس يفصل بإستقامة كلمة الحق، كيف تتوقع منا أن نقبل بها وكأنها مُسرةً لله عندما هي تناقض التعليم الأرثوذكسي بالكلية؟ بما أن الحقيقة قد حُوتت ليس من الجدير بها أن تدعى إثم بدل من إيكونومية أو تنازل أو إستيعاب أو تسامح؟ أنت تلتزم بموقفك لأن الشيخ باييسوس قال: "إن ديميتريوس هو مُضللٌ من قبل الأساقفة المحيطين به لكي يفعل ما لا يريد،" و"إذا امتنعنا عن ذكر البطريك ليتورجياً سوف نصبح خارج الكنيسة" وأمر أخرى يمكننا تطبيق كلمات القديس يوحنا الذهبي الفم عليها، "جميع أقوالهم هي حماقة، وأساطير أولاد حمقى." إن أقوالهم هذه هي ثم لاهوت جديد إستعمله الفنار بمنشور ١٩٢٠ الشهير بسماعته السيئة حين يدعو الهرطقة "شركاء في ميراث نعمة الله."

أنت تستعين بأقوال القديس يوحنا الذهبي الفم، "و لا حتى دم الإستشهاد يمحي الإنشقاق" والقديس إغناطيوس المتوشح بالله، "لا يجوز سن أي شيء دون الأسقف". ومن ثم تستنتج أنه حين نفصل أنفسنا عن أسقفنا، نصبح خارج الكنيسة.

ولكن القديسين تفوهوا بهذه التصريحات في زمن من إستقامة الرأي والسلام في الكنيسة. أما اليوم، حين إعصار الهرطقة المسكونية الشاملة يسحق حتى المختارين، تصبح أقوال ذات القديسين

أنفسهم مصدر قوة: "إذا كان أسقفك هرطوقياً، أهرب، أهرب، أهرب كما من حريقٍ وثعبان" (القدّيس يوحنا الذهبي الفم). "إذا كان أسقفك يعلمُ بأمور خارج النظام المعين، حتى ولو كان يعيش في طهارة أو يصنع العجائب أو يتنبأ فليكن لك بمثابة ذئب في لباس حملان لأنه يعمل لهلاك النفوس" (القدّيس إغناطيوس). لو فعلاً كان ديميتريوس يفصلُ بإستقامة كلمة الحق، لكنت تُبرّر في إقتباساتك لأقوال القدّيسين، لكنك الآن أنت تقوم بتحريف كتابات الأباء لتناسب ذوقك، لكي تبرر ذنبك كونك زميل سفر لديميتريوس وبارثينيوس الإسكندري ويعقوب الأميركي ستيليانوس هاركياناكيس الأوسترالي. هل جميع الإقتباسات العديدة من المجامع المقدسة والقدّيسين غير كافية لك؟ أو أنك ربما تخشى أن تُطرد من كُنيس الهرطقة؟ ليس من المهم حقيقة أن البطريكيات الأخرى هي في شركة مع الفنار. ما هو مهم هو من يمشي في خطى القدّيسين ويقف مع الحق. بارثينيوس بطريك الإسكندرية قال أنه يعترف بمحمد بمثابة رسول عمل في سبيل ملكوت الله، وتفوّه بتجديف أخرى أنت تعرفها. ليس من الضروري لنا أن نكتب مجدداً عن هرطقات يعقوب كوكوزيس الأميركي (وهو كان رئيس أساقفة أميركا الشمالية تحت سلطة البطريكية المسكونية - المترجم) وستيليانوس هاركياناكيس الأوسترالي (وهو كان رئيس أساقفة أستراليا وأيضاً تحت سلطة البطريكية المسكونية - المترجم). أنت في شركة إفخارستية مع هؤلاء الرجال وكأنهم فرضياً يفصلون باستقامة كلمة الحق! من سيّدين يعقوب كوكوزيس؟ بارثينيوس؟ أو لجنة الفناريين تحت بارثولماوس التي ولمدة سنتين الآن هي "تحقق" إن كان هاركياناكيس هرطوقياً؟ ألا تدرك أنهم لا يريدون إصدار أي حكم بحقه؟

لقد وعد الفنار البعثة المؤلفة من ثلاثة رؤساء أديرة من جبل آثوس أنهم سوف يتراجعوا عن ويصحّحوا تصريح البطريك ديميتريوس للصحافة المتحدة (يونائتد برس) عن أخذ المناولة من اللاتين، وأنهم سيستبدلوا ستيليانوس هاركياناكيس كرئيس هيئة الحوار اللاهوتي، ألخ (نذكر هنا أن هذه الهيئة التي ترأسها ستيليانوس الأوسترالي هي التي توصلت إلى إتفاق البلمند الهرطوقي مع روما الهرطوقية - المترجم). لهذا اليوم، هل تم تصحيح أي شيء؟ أم أنك تعتقد أنه ليس علينا مسؤولية أو ذنب ويمكننا الإستمرار بالشركة معهم لأن الشيخ باييسوس قال بكل عار أن تصريحات وأفعال ديميتريوس هي لا

تناقض عقائدنا ولا تخالف الحقيقة؟

التاريخ يعيد نفسه. فالقديس ثيودوروس الستوديطي والقديس مكسيموس المعترف والعديد من المسيحيين الآخرين الذين لم يتبعوا الرئاسات التي في وقت ما بشرت بالهرطقة، جميعهم دعوا بالشقايقين من قبل تلك الرئاسات. وبالرغم من أن القديس جيراسيموس الأردني خدمه أسد وكان صانعاً للعجائب، إلا أنه كان على خطأ لأنه رفض قبول المجمع المسكوني الرابع، ساحباً وراءه الآلاف من الرهبان في فلسطين، إلى حين صحَّحه القديس إيثيميوس الكبير وتاب.

يمكنك أن تسأل: "هل يمكن للشيخ باييسوس وسبعون أسقفاً من كنيسة اليونان الرسمية أن يكونوا على خطأ؟"

هل تريد الله أن يجبرهم على الإعراف به؟ في مجمع محاربي الأيقونات عام ٧٥٤ أثناء عهد كوبرونيموس، نقرأ في تفاصيل الاجتماع ذلك الهمتاف المخيف للأساقفة الـ ٣٣٨ الحاضرين في المجمع: "ليطول عمر الملك! إن الأيقونات هي أوثان ويجب إما أن تُدمَّر أو تعلق عالياً لكي لا يتم إكرامها." هل من الصعب عليك القبول أنه يمكن لسبعون أسقفاً أن يكونوا مخدوعين اليوم، حين، كما رأيت، كم من العديد منهم خُدعوا في ذلك الوقت؟

في أيامنا هذه، الرهبان يرغبون بالقنسوات (أي قبعتات الرئاسة) وبُعصي رؤساء الأديرة بينما هم يمارسون إعرافاً شكلياً بالإيمان - أي يعترضون لحد ما، ولكن لا يتوقفون عن الذكر الليتورجي للبطريك، وهم يتسامحون مع كل الابتكارات في الإنجيل التي أدخلها ديميتريوس ويعقوب وبارثينيوس وهؤلاء المشابهين لهم. ولكن القديس ثيودوروس الستوديطي يكتب أن عمل الراهب هو ألا يتسامح مع حتى أبسط إبتكار في إنجيل المسيح.

في القديس المشترك الذي حصل في روما، لم يستلم ديميتريوس الجسد من البابا لكي يتحاشى ردات فعل عنيفة من "المتحفظين". لكنه، هناك في روما، التزم بالعقيدة القائلة أن اللاتين عندهم أسرار

الكنيسة وهو ما لا يزال يعترف بذلك. هل هذا ليس كافياً؟ متى قدّيسو ومسيحيو أي قرن بُشّرت فيه هرطقة على نطاق واسع أبدوا ردة فعل مثلك، أنت التي تستمر في ذكر ديميتريوس ليتورجياً؟ أي سابقة وجدت أنت في تاريخ الكنيسة لتقول أنك تمشي في خطاها؟ لو كنتم أبناء القديسين، (أي مقلّدين وتابعين للقديسين)، "لقمتم بأعمال إبراهيم" كما يقول الإنجيل. في زمن البطريك بيكوس، امتنع آباء الجبل المقدس عن ذكره ليتورجياً، بالرغم من أنه لم يكن قد أدين من قبل مجمع؛ ولأنهم استمروا أوفياء ملتزمين بتعاليم الآباء (أي امتنعوا عن الشركة مع الذين ارتدوا عن الإيمان الأرثوذكسي)، منحهم المسيح إكليل الإستشهاد. أما الذين اشتركوا بالإحتفال مع من كانوا يذكرون بيكوس، البطريك اللاتيني-الفكر "الرسمي"، فما زالت جثثهم موجودة لهذا اليوم، كما هو معروف، منتفخة، معفّنة، وغير منحلة لتكون مثلاً للجميع.

أنت قلت لنا أنه إذا ديميتريوس لم يتلقى سر الإعتراف عن الأمور التي فعلها، سوف يُحكم عليه باللعنة. فأنت الآن تعترف أنك تتبع رجلاً يلعن نفسه بالأمور التي يقوم بها. ولكي يكون هو يلعن نفسه [وبالتأكيد لأمر مختصة بالإيمان وليس لأمر شخصية أو خطايا خاصة]، فهذا يعني أنه يقوم بعمل الشيطان. وبالتالي أنت بنفسك تعترف أن لك الشيطان كرميل سفر لك. هل أنت جاد يا أبونا نيقوديموس، أم أنت تمزح؟ لو "تاب" أثيناغوراس واعترف بخطيئته قبل مماته بقليل، هل كان سيخلص؟ أرني ولو شهادة آبائية واحدة تبرّر البقاء في كنيسة تبشر بالهرطقة، كما تلك التي لـ "قائد الأرثوذكسية المتواضع والصامت" ديميتريوس. [في الواقع، جميع الكنائس المحلية اليوم تبشر بالهرطقة المسكونية أو هي بشركة مع من يفعل ذلك، بما فيها بطريركية أنطاكية - المترجم]. هل طاعة كهذه لرئاسة كنسية لا تُفصّل كلمة الحق بإستقامة ستقدّسنا؟ إذا كنت لا ترغب بالإعتراف أن دير إسفغمينو والعديد من الآباء الغيورين يستحقون الإكرام - حسب القانون الخامس عشر من المجمع الأول-الثاني - على الأقل إبقى صامتاً ولا تجدّف بقولك أنهم شقاقيون وخارج الكنيسة. أنت تتجاهل شهادة القديس مرقص إفغينيوكوس الأفسسي، الذي لم يُرد من أصحاب الفكر اللاتيني حتى بالجيء إلى جنازته.

أولاً مارس الدراسة ومن ثم قم بالتصريحات. فحسب تفكيرك، القديس مرقص الأفسسي والقديس مكسيموس المعترف وطغمت من الآخرين الذين لم يشتركوا إفاارستياً مع الهراطقة هم خارج الكنيسة!

أترى إلى أين يؤدّي "لاهوتك الجديد"؟ من كان يظن من أي وقت مضى أن آباء من الجبل المقدس سيقتنون بمثابة إنجيلهم كتاب "النقيضين" للأب إيفانيوس ثيودوروبولوس؟ أنت تقترح القيام بإعتراضات مثل تلك الذي ينصح بها على صفحتي ١٩ و ٢٢ من ذلك الكتاب، إعتراضات، حسب المسكونيين، على "قوانين مقدسة لا تُطبّق في أيامنا هذه لأنها تفتقر إلى المحبة". هو أيضاً يصف أثيناغوراس بأنه "عنده حب شيطاني". ومع ذلك، هو استمر بالشركة مع هؤلاء أصحاب "الحب الشيطاني". يا له من تضارب رائع!

رأينا إعتراضات شبيهة في تلك المناسبة التي طلب فيها ممثل دير غريغوريو (في جبل آثوس - المترجم) أن تُسجّل في قرارات الجمعية المقدسة أنه إذا أرسل أمين السر الرئيسي إلى أستراليا، هو لن يشترك بأي إحتفال هناك. وبالنهاية لم يذهب أمين السر؛ ولكن الأب باسيل، رئيس دير ستافرونيكيتا، متجاهلاً قرار جميع الأديرة الأخرى، أرسل الأب تيخون لكي "يساعد" رئيس الأساقفة ستيليانوس هاركياناكيس. بُعيد رجوع الأب تيخون، أُرسل إلى إحتفال قلاية البورازيري. هناك اشترك ممثل دير غريغوريو الأب أثناسيوس بالإحتفال مع الأب تيخون والبقية. فلا داعي إلى تعليق.

لقد تم إسكات الأب إيفانيوس ثيودوروبولوس عندما أفندوا أخطاءه منذ عشرين عاماً تقريباً. ولكن أنت، بذات الحجج الغير-لاهوتية، تريد أن تبرّر شركتك مع بطاركة يبشرون بالهرطقة وهم "عراة الرأس"، مع حبّهم الشيطاني للهراطقة بينما في نفس الوقت يضطهدون الأرثوذكسيين الأصليين، وبالتالي هم يتشبهون بالبطريك بيكوس، الإمبراطور كوبرونيموس، وجميع أمثالهم. عندما ترتل لهم "إلى أعوام عديدة" وتذكرهم ليتورجياً، يكون الأمر ذاته وكأنك قلت لهم: "أنتم أصحاب في الإيمان وبالتالي

واجب لكم الطاعة والإكرام والذكر الليتورجي. " أنت لا تساعدهم أن يدركوا أنهم يمشون في طريق شرير؛ بينما إذا أوقفت الشركة معهم، فرمما تولد عندهم خزّات الضمير وبالتالي يفتشون على الحقيقة. إن ذنبك النابع من صمتك المستحق اللوم، والذي يسميه القديس غريغوريوس بالاماس بنوع ثالث من الإلحاد، ينمو يوماً بعد يوم، بالرغم من جميع ما تسميها بإعتراضاتك.

عندما كان أصحاب الفكر اللاتيني قادمون إلى هنا أثناء بطيركية بيكوس ليفرضوا الإتحاد مع اللاتين، تكلمت سيدتنا الأم العذراء حارسة جبل آثوس المقدس بشخصها قائلةً: "أعداء إبني وأعدائي قادمون!"

في العام الماضي، عندما وصل خَلْفُ بيكوس – ديميتريوس ("قائد الأرثوذكسية")، وجد الجبل المقدس ملطخاً بالسواد نتيجة أسبوعين من الحرائق المتواصلة. ومن له أذنان للسمع، ليسمع صوت والدة الإله الفاتقة القداسة.

نتمنى أن تجد مسار الخلاف الصالح، كما يعلم القديس نيقوديموس الآثوسي في تفسيره لرسائل القديس بولس الأربعة عشر قائلاً: "إذا كان [رئيس الدير أو الأسقف] شريراً من ناحية الإيمان، أي هو يؤمن بمعتقدات هرطوقية وتجديفية، أُهرب منه، حتى ولو كان ملاكاً من السموات."

الشيخ سابا

راهب لا ينتمي إلى دير، لكن مستقيم الرأي

---

\* أعلنت البطيركية المسكونية في القسطنطينية قداسة الشيخ باييسوس الآثوسي في ١٣ كانون

الثاني ٢٠١٥.